

ديسقوريدس وكتابه

د. مختار هاشم

ما اشتهر عند العرب احد من الأطباء الاقدمين اشتهار ثلاثة : ابقراط وجالينوس وديسقوريدس حتى ان ابن النفيس في كتابه الشامل يرمز لهذا ب د . وحتى ان ابن البيطار لا يدع مادة من كتابه الجامع لفردات الادوية والاغذية الا ويقرنها بنقل مادة من كتاب ديسقوريدس عندما يجد فيه ما يماثلها .

وديسقوريدس طبيب شامي يوناني حشائشي^(١) من عين زربى وهي بلدة كانت واقعة في شمالي سورية وتقع في يومنا هذا في الجمهورية التركية .

وقالوا ان سبب براعة د في هذا الفن انه داوم مدة اربعين سنة على ملاحظة النباتات في احوالها المختلفة حتى وقف على منافعها وخواص بزورها وازهارها وقشورها ولبابها غضة ناضرة او يابسة جافة ، ثم اخبر تلاميذه بما حصل عنده من التجارب عنها واثف كتابه فيها .

نقل العرب هذا الكتاب الى لغتهم في ايام المتوكل الخليفة العباسي المتوفى سنة ٢٤٧ هجرية وكان ذلك على يد اسطفان بن باسيل الذي ذكره ابن اصبهنة فيمن نقلوا العلم الى العربية وقال : كان يقارب حنين بن اسحق في النقل الا ان عبارة حنين افصح واحلى .

نقل اسطفان هذا الكتاب من اليونانية الى العربية ثم قرا حنين بن اسحق الترجمة فصحبها واجازها . وكان اسطفان اذا علم ما يقابل بالعربية الاسماء اليونانية ذكره ، واذا لم يعلم ترك اللفظ اليوناني على حاله « اتكالا » منه على ان يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويقسره باللسان العربي^(٢) .

وحمل هذا الكتاب الى الأندلس فيما حمل اليها من تأليف المشاركة او ترجماتهم فانفع به الأطباء ، الا ان الفاظا كثيرة باليونانية ظلت غير مفهومة لعدم ذكر ما يقابلها بالعربية حتى كانت

ايام عبدالرحمن بن محمد الناصر وهو يومئذ صاحب الأندلس فكاتبه رومانوس الثاني (٣) ملك قسطنطينية في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهاداه بهدايا لها قدر عظيم منها كتاب ديسقوريدس مصوّر الحشائش بالتصوير الرومي العجيب ، وكان الكتاب مكتوباً بالاغريقي اي باليوناني القديم ومما جاء في كتاب رومانوس الى الملك الناصر :

« ان كتاب ديسقوريدس لا تجتنى فائدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ويعرف اشخاص تلك الادوية . فان كان في بلدك من يحسن ذلك فزت ايها الملك بفائدة الكتاب » .

قال ابن جلجل : « ولم يكن يومئذ بقرطبة من يقرأ اللسان الاغريقي فبقي كتاب ديسقوريدس في خزانة عبدالرحمن الناصر ولم يترجم الى اللسان العربي . وبقي الكتاب بالأندلس الذي بين ايدي الناس بترجمة اسطفان الواردة من مدينة السلام ببغداد .

فلما جاب الناصر رومانوس الملك سأله ان يبحث اليه برجل يتكلم بالاغريقي واللاتيني ليعلم له عبيدا يكونون مترجمين فيبعث رومانوس الى الناصر براهب يدعى نيقولا فوصل الى قرطبة سنة اربعين وثلاثمائة . وكان يومئذ بقرطبة من الأطباء قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من اسماء عقاير كتاب ديسقوريدس بالعربية فصح يبحث هؤلاء النفر تصحيح الوقوف على اشخاص عقاير كتاب ديسقوريدس بمدينة قرطبة ما ازال الشك فيها من القلوب ، وتصحيح النطق بأسمائها بلا تصحيف الا القليل منها الذي لا بال له ولا خطر وذلك في مثل عشرة ادوية « انتهى كلام ابن جلجل باختصار يفهم من هذا الكلام ان كتاب ديسقوريدس بقي على ترجمة اسطفان بن باسيل ولم يترجم ترجمة جديدة اندلسية بل ان الأطباء الأندلسيين استعانوا بالراهب نقولا على فهم معاني الفاظ العقاقير ومعرفة اشخاصها وتصحيح النطق بأسمائها ، وبقيت الترجمة الأسطفاية لا تنازعها ترجمة ثانية على ان الأندلسيين والمغاربة اذا كانوا لم ينقلوا الكتاب نقلاً جيداً الى العربية فانهم اكملوا النقل البغدادي بالشرح والتفسير (٤) .

وقد وصل الينا من مخطوطات ترجمة اسطفان بن باسيل على ما ذكر الدكتور صلاح الدين المنجد ما يلي :

- ١ - مخطوطة ايا صوفيا بالأستانة .
- ٢ - مخطوطة المكتبة الوطنية بمدير .
- ٣ - مخطوطة خدا بخش بتنه بالهند .

وقد عني المستشرقان الاسبانان قيصر دبلر Cesar Dubler والياس طرث Elias Teres بطبع وتحقيق ترجمة اسطفان بن باسيل وصدرت هذه الطبعة في تطوان عام ١٩٥٢ وفي برشلونة عام ١٩٥٧ .

كان اعتمادهما الأساسي على مخطوطة المكتبة الوطنية بمدير وهما يأتیان في المدخل الى الكتاب الذي حققاه La materia medica de Dioscarides .

يبحث ضاف عن المخطوطات العربية لكتاب ديسقوريدس يتناول :

M . مخطوطة مدريد

P (°) . مخطوطة باريس

E . مخطوطة الاسكوريال

مخطوطات اخرى .

ويشير الى بحوث العلامة الفرنسي Lucien Leclerc وسواه .

ثم يأتيان بحث طويل في اربعين صفحة عنوانه :

La transcripcion de los nombres griegos al arabe.

يعالجان في هذا البحث موضوع تعريب الكلمات الاغريقية وما يقابل كل حرف يوناني صامت او صائت من حرف عربي وما يتعلق بذلك من اشكالات . يلي ذلك دراسة تقع في مئة وعشرين صفحة تتناول مقارنة نصوص كتاب ديسقوريدس باللغات الثلاث :

كتاب ديسقوريدس بالاغريقية ويرمز له بـ D. W.

كتاب ديسقوريدس بالعربية ويرمز له بـ D. A.

كتاب ديسقوريدس بالقسطنطينية (٦) ويرمز له بـ D. L.

والمؤلفان يترجمان النصوص الثلاثة الى اللغة الاسبانية ليدرك القارئ الذي يعرف الاسبانية مدى تطابق النصوص ويلمس مدى صحة الترجمة العربية او الترجمة القسطنطينية (اللاتينية المتأخرة في اسبانيا) وايهما اقرب الى الاصل اليوناني .

والحقيقة ان هذه الطبعة المحققة التي اصدرها المستشرقان الاسبانيان ذات فائدة عظيمة لمن يتصدى لتحقيق مفردات ابن البيطار فهي مذيلة بمسرد في الاختلاف بين المخطوطات المختلفة والتصحيحات وبفهرس بأسماء النباتات وآخر بأسماء الأشخاص والبلدان والمواضع التي يوجد فيها النبات .

والكتب التي تتناول النباتات الطبية والتي تساعد على تحقيق مفردات ابن البيطار كثيرة جداً لا يتسع مجال هذه المقالة لسردها ولكن اشير بخاصة الى الكتاب التالي :

Leclerc, Lucien : Traité des simples d'Ibn El-Beithar, Paris 1877.

وقد استفاد منه الدكتور احمد عيسى في صنع معجمه بأسماء النبات . عدا البحوث التي تتعلق بمفردات ابن البيطار والتي نشرها في المجلة الآسيوية . والى كتابين فرنسيين قديمين يمكن ان يساعد في فهم مادة ديسقوريدس :

Dalechamps J. : Histoire générale des plantes, Lyon 1615.

Mattiole. Les commentaires, de M. André Mattiole medecin siennois (٧) sur les six livres de matière medicale (٨) de Dioscoride Amazarbeen traduits de latin en français, Lyon 1567.

كما ان من المفيد مقارنة ترجمة اسطفان بن باسيل المذكورة آنفاً بترجمة لمهران بن منصور ابن مهران رآها الدكتور صلاح الدين المنجد وقال فيها ما يلي :

« هي نسخة نادرة عتيقة خزائية ، من القرن السابع ، مصورة ، فيها انواع النباتات والحشائش المذكورة في الكتاب ، بالالوان . وهذه النسخة اجمل ما وقعت عيناي عليه من مخطوطات ... الى آخر كلامه » .

وذلك ان الطبعة المحققة لكتاب ديسقوريدس التي نشرها المستشرقان الاسبانيان الفاضلان لا تخلو من تصحيف كثير نقلاه الينا بكل امانة .

٢ - بعد الحديث عن كتاب ديسقوريدس لا ارى مندوحة عن التعرض لسيرته ، والمعلومات التي نعرفها عنه نزره وقد سبق ان رويانا انه طبيب حشائشي شامي من عين زربا فلنر ما تقول عنه دائرة المعارف الفرنسية (٩) :

ديسقوريدس فيدانيوس (١٠) (من نحو ٤٠ - نحو ٩٠ بعد الميلاد) .

ولد بعين زربا في قيليقيا . درس هذا اليوناني من آسيا الصغرى الطب في الاسكندرية ثم في اثينا حيث تتلمذ على ثيو فراسطوس . ثم اتى روما فاصبح طبيباً عسكرياً في الفرقة الأجنبية في عهد نيرون وطاف بين سنة ٥٤ و ٦٨ في قسم كبير من اوربا واستفاد من رحلاته تعميق معارفه السريرية والنباتية واستمد منها عناصر كتاب يعد اول وصف للأدوية وتحضيرها .

وهذا الكتاب الواقع في ستة اسفار يدعى الطب العالمي ويحتوي على وصف ستمائة نبات طبي (عدة نباتات منها كانت مجهولة قبل ديسقوريدس) مع كيفية استعمالها وسرد الأمراض التي تشفى بها .

واذا كان المؤلف غير متمرس بعالم الحيوان اذ كان يروي عنه خزعيلاته فانه كان عارفاً بالأدوية التي هي من اصل معدني وكان اول من ذكر افعال ماء الكلس وسلفات النحاس واسيتات الرصاص والاثمد والزرنيخ والكبريت في المعالجة الدوائية وآخر باب في كتابه يختص بالسموم واضدادها .

ومن الجمع بين معرفته الشخصية الواسعة والمعلومات الدوائية المعروفة في عصره تمكن في كتابه الطب العالمي من توطيد الأسس العلمية لعلم الصيدلة . وكان كتاب ديسقوريدس المكتوب باليونانية ملهماً لـ بلينيوس (١١) كما ذكره جالينوس كثيراً .

وبعد ترجمته الى اللاتينية والعربية كان له تأثير كبير في علم الأدوية في الشرق والغرب ، وظل العلماء في فرنسا يتناولونه بالشرح والتعليق حتى آخر القرن الثامن عشر .

لقد اوضحت هذه السيرة الموجزة صورة هذا الطبيب بعض الشيء ، ولكن اسئلة تثيرها هذه السيرة لا اتمالك ان اطرحها :

١ - ماذا يعني كاتب سيرته بقوله « درس هذا اليوناني من آسيا الصغرى الطب في الاسكندرية » .

فهل قال انه يوناني لأن كتابه باليونانية اولانه نشأ في آسيا الصغرى كأن هذه من بلاد اليونان بلا منازع ، ولم تكن موطن شعوب كثيرة في ذلك الحين ، قد عدت منها في كتابه ما ينيف على خمسة عشر شعباً قد لا يفهم احدهم الاخر الا بلغة مشتركة هي اليونانية وهذا سبب وجيه للكتابة بها . وقد جهدت في تحقيق اسماء هذه الشعوب التي كثيراً ما تأتي اسمائها مصحفة في كتب المفردات العربية بل في كتاب ديسقوريدس نفسه ، وتختلف طريقة نقلها الى الرسم العربي فتكتب مثلاً لوفيا وليقيا ، فاذا قيل لنا انهم يونان موزعون الى قبائل وعشائر قلنا هل الأرمن من اليونان ام السريان يونانيون والمعروف ان الرها في جنوب آسيا الصغرى كانت مركز اشعاع للحضارة السريانية ، والغريب ان يأتي احياناً مرادف سرياني لاسم الدواء باللغة اليونانية (١٢) وهذا امر يستحق البحث هل هذا في النسخة الاغريقية الأصلية ام اضافه العرب بعد ترجمة كتاب ديسقوريدس .

ولا اريد اطالة النقاش في هذا الموضوع ولكن اود الايناس بهذه الفكرة بالعودة الى مصادر ثلاثة :

اولاً : مقال في الموسوعة الفرنسية (١٣) بعنوان « المدينة الهلنستية » .

« [ظهر] تمثيل اقتصادي رافقه شيء من الانصهار الاجتماعي في العلاقات اليومية والزواج المختلط ، فأقبل المصريون والسوريون والآسيويون على تعلم اللغة الاغريقية ، لغة السلطة والأعمال على حين اخذت ديانات الشرق تجذب اليونان المجتئين من ماضيهم والناسين لديانتهم القديمة . وهكذا تحقق ببطء ولكن بعفوية ذلك الانصهار الذي كان الاسكندر يستعجل احداثه والذي كان عاملاً قوياً في وحدة العالم الهليني » .

ثانياً : ذكر شبنغلر Spengler الألماني فيلسوف الحضارات ان النخبة من الغرباء المندمجين في الحضارة الاغريقية الرومانية كانوا ينتحلون اسماء يونانية اذا كانوا فلاسفة او اطباء واسماء لاتينية اذا كانوا من رجال القضاء او رجال القانون او من الادباء . لا يمكنني اعطاء النص الأصلي مع الأسف ولكن يمكن استخراجه بانفاق بعض الوقت .

ثالثاً : اشتهر في تاريخ الطب العربي ان السريان اسهموا اسهاماً عظيماً في نقل التراث الاغريقي الى اللغة العربية ، كما اشتهر عند الأوربيين ان العرب حملوا مشعل الحضارة وحفظوا التراث اليوناني حتى اوصلوه الى الأوربيين وكان من آثار ذلك ظهور الحضارة الغربية الحديثة ، فلم يكن السريان ولم يكن العرب من بعدهم الا نقلة للتراث الاغريقي وسمى الأوربيون ظهور الحضارة على ارض بلاد اليونان الأصلية المعجزة الاغريقية . وكما اتمنى ان يقرأ بنو قومي كتاب المؤرخ البريطاني آرنولد توينبي (١٤) وبخاصة ما قاله في الحضارة السريانية والحضارة العربية عسى ان يطرأ تغير على منظورهم الحضاري ويدركوا ان الحضارة العربية هي المعجزة الكبرى . وخلاصة القول ان تأليف ديسقوريدس كتابه بالاغريقية لا يعني انه كان يونانياً .

٢ - والآن لننظر الى الموضوع من زاوية ضيقة ونستشف حياته من خلال كتابه الوحيد وما يذكره عن النباتات التي شاهدها في منابته وتتبع احوالها المختلفة في بيئتها الطبيعية في

أكثر الأحيان ، وإذا تعذر عليه ذلك استخبر عنها الثقات من أهل البلاد شأنه في ذلك شأن العالم النباتي ابن البيطار وشأن العلماء المحدثين . فهو يقول في مقدمة كتابه :

« وانا أسألك وكل من ينظر في هذا الكتاب أن لا تتفقدوا مقدار قوتنا في الكلام بل عنايتنا بالأشياء في طول التجارب فإني قد عرفت عامتها بالمشاهدة مع سائر ما يجب أن يتقصى معرفته من حالاتها وبعضها مما لم نشاهده (١٥) استقصينا أمره بالأخبار المتفق عليها واستخبار أهل المواضع التي تكون فيها » .

فذكر النبات عنده مقترن بالمكان الذي شوهد فيه في الغالب وعقد الصلة بين النباتات والأمكنة كثير الفائدة إذ يفتح لنا نافذة نطل منها على حياة المؤلف . ولنبدا بهين ذبى مسقط رأسه . . . اننا لا نجد لها ذكراً في نص الكتاب مما يعني أنه لم يدرس نباتات ملتقطة من أرضها فإذا جئنا إلى قيليقيّة وجدنا أنه ذكرها ٨ مرات بهذا الرسم و ٣ مرات برسم قليقيّا ومرة برسم قيليقيّة أي أنه ذكرها (١٢ مرة) فلنذكر العدد الإجمالي بعد الآن متجاوزين هذه الناحية الشكلية ولنسقط أمثلة لذلك :

□ المقالة الثالثة :

٢٥ - أسوفس وهو الزوفا

نبات معروف وهو صنغان منه جبلي ومنه بستاني وقد ينبت منه بالبلاد التي تسمى (١٦) قيليقيّا شيء جيد وقوته مسخنة . . .

الزوفا بالتسمية العلمية *Hyssopus officinalis L.*

٥١ - طرديلن

ومن الناس من يسمي هذا النبات أيضاً سسالي قريطقون وتفسيره سساليوس قريطي وهو ينبت في الجبل الذي يقال له أمانس بالبلاد التي يقال لها قيليقيّا وهو عشب يستعمل في وقود النار وله بزر مستدير كأنه طبقتان طعمه إلى الحرافة . . .

اسمه العلمي *Tordylium officinale L.*

٦٤ - سمر نيون

الذي يسميه أهل قيليقيّا بطرسائون وينبت كثيراً بالجبل الذي يقال له أمانس (١٧) . يسمى بلغة العلم *Smyrnum perfoliatum L.* وسمما بعض النباتيين *Smyrnum dioscorides SPR* تخليداً لذكرى د. أو لربط ماضي علم النبات بحاضره .

جبل طودوس (جاء ذكره مرتين) .

سورية (وردت ١٢ مرة) مثال ذلك :

المقالة الأولى :

٤ - قيفارس وهو السعد :

جاء فيها : والسعد الذي من قيليقيا والذي من سوريا [و] الذي من الجزائر التي يقال لها قوقلادس(١٨) على هذه الصفة .

اسمه العلمي . *Cyperus longus* L.

ذكر الدكتور احمد عيسى المرادف اليوناني بصيغة قبرص تحريفاً .

فينيقي (٢ مرة) .

المقالة الأولى :

٤٨ - صنعة سوسينن ، وهو دهن السوسن .

... واجود ما يكون من دهن السوسن ما كان من البلاد التي يقال لها فينيقي السوسن هو . *Iris florentina* L.

٧٥ - اسفلطس(١٩) وهو الكفر اليهودي :

... وقد يكون بالبلاد التي يقال لها فونيكي والمدينة التي يقال لها سيدوني(٢٠) بلاد الشام ، الشام (١٠ مرات) ، دمشق (١ مرة) ، منبج (٢ مرتين) .

١٣٩ - بسطاقيا وهو الفستق :

ما كان منه بالشام وكان شبيهاً بالصنوبر فانه جيد للمعدة .

الفستق(٢١) *Pistacia vera* L.

١٣٥ - قوقو ميلا ، وهو شجرة الاجاص :

هو شجرة معروفة ثمرها يؤكل وهو ردي للمعدة ملين للبطن ، واما ثمر الاجاص الشامي وخاصة ما كان منه بدمشق فانه اذا جفف كان جيداً للمعدة مسكناً للبطن الاجاص

Prunus domestica L.

فلسطين (٥ مرات) ، بطرا (١ مرة) بيت المقدس (١ مرة) اسقالونيقي (١ مرة) .

□ المقالة الرابعة :

١١١ - بالانس موريستي ، وهو حب البان :

... وقد تنبت هذه الشجرة ببلاد الحبش ومصر وبلاد العرب وبموضع من فلسطين الذي(٢٢)

يسمى بطرا(٢٣) .

سمى علماء النبات المحدثون الشجرة : *Moringa arabica* PERS.

والتسمية اليونانية من بالانس (*Balanos : gland, chène*) .

ومن موريسقى (جاءت في الطبعة المحققة بنقطة تحتية واحدة تمسكا بامانة النقل)، واعتقد ان هذه الكلمة من نفس الأصل الذي اخذ منه الفرنسيون كلمة Maures .

المقالة الثانية :

٢٢ - سيبيا (٢٤) :

سمكة معروفة بناحية بيت المقدس (٢٥) ، اذا طبخت واكل الأسود منها وحصلتها كان عسر الانهضام مليناً للبطن ...

□ المقالة الاولى :

١٠٢ - قوبرس ، وهو شجرة الحناء :

اجوده ما كان من البلاد التي يقال لها اسقلونيقي (٢٦) .

اسمه العلمي Lawsonia alba LAM .

وبالفرنسية Henné, Alcanna, Troène d'Egypte

وهو من فصيلة الحنائيات Lythraceae .

فاذا راجعنا معجم شاسانغ وجدنا : Cupros : Troène (arbrineau) .

فلماذا قالوا Troène d'Egypte اقول ذلك تمييزاً لها عن نبات آخر يدعى Troène (Cupros) ويسمى علمياً Ligustrum vulgare L. ومن الفصيلة الزيتونية
Famille : oleaceae
يقول الشهابي في معجمه : وثاقية ، جنبه الرباط Ligustrum

لعل بلينيوس اراد هذا المعنى من الكلمة اللاتينية ولم اجد لهذا الشجر اسماً عربياً ، وسماه شرف الغفو بهذا المعنى، اما عيسى فسمى نوعه الشائع الياسمين ...

اقول : ان تسمية شرف لهذا النبات بالغفو كان بسبب التباسه بالحناء والحناء اسماء كثيرة منها الفاغية والغفو فيكون بتسميته خرج من نطاق الفصيلة الى فصيلة اخرى وتسمية احمد عيسى له بالياسمين خروج من جنس الى جنس فهو يوقع التباساً بين الأجناس النباتية .

بابل (١ مرة) ، بابلون (١ مرة) ، ببولن (١ مرة) .

□ المقالة الاولى :

٧٧ - نفطس ، وهو النفط :

ويسمى اسفلطون هو صفوة النفط البابلي ولونه ابيض وقد يوجد منه ايضاً ما هو اسود . حتى يقول : ولكل كفر قوة مانعة من تورم الخراجات ، ملزقة للشعر النابت في الجفون (يعني فائدته في حالة انتشار الاهداب) ، مُحِلِّلَةٌ .

ان المترجم استعمل كلمة كفر ويعني به القار .

ان كلمة نفطس هي الكلمة العربية (نفط) وقد وضعها في صيغة يونانية فقال نفطس ، لكن التراجمة العرب حين يأخذون كلمة من اليونانية يحافظون على صيغتها .

بلاد العرب (١٦ مرة) عربية (١ مرة) .

مصر (٢٠ مرة) ، اسكندرية (١ مرة) ، تفوصير (٢٧) (١ مرة) ، امونيا قن (٢٨) (١ مرة) ، منف (١ مرة) ، الصعيد (١ مرة) .

ليبوى (١٢ مرة) .

فسرها لوكليز ببلاد المغرب ، وانا على يقين انها (ليبيا) ، وقد ورد ذكر المغرب في المقالة الخامسة :

١٠٨ - ليتس سخستوس :

ومعناه الحجر المشقق يكون هذا الحجر مما يلي : المغرب من البلاد التي يقال لها ايبيريا يتضح لنا من هذه الجولة الاحصائية السريعة ان نباتات البلاد العربية قد حظيت بالنصيب الاوفى من دراسات ديسقوريدس ، وتواتر ذكر هذه البلاد (مؤشر) له دلالة ، تأتي بعدها نباتات آسيا الصغرى وهو لا يذكرها كمنطقة موحدة بل كدويلات او مدن او بقاع شاهد فيها النباتات ان جلب اليه منها . فيذكر بنطس (٢٩) وفروغيا وموسيا ولوقيا وينغوليا وبيثونيا وغلاطيا وقابا دوقيا وغلاطيا هذه قد غلط فيها العلامة الفرنسي ل. لوكليز فظنها بلاد غاليا ، وقد ذكرها ديسقوريدس في كتابه سبع مرات وذكر غاليا مرة واحدة. اذ يقول في الاولى : ٧١ .

ومن صمغ التنوب وصمغ بوقينا وهو الارز ما يكون رطباً ويؤتى به من غاليا ومن البلاد التي يقال لها ترنيا ، وقد كان يؤتى به فيما مضى من البلاد التي يقال لها قولوفون (٣٠) ولذلك سمي ما آتى به من تلك البلاد قولو فونيا.

وتأتي في الدرجة الثالثة الدراسة المتعلقة بالبلاد الأخرى شرقية كانت او غربية . اذكر امام البلد او المدينة رقماً يدل على عدد المرات التي ورد ذكرها في كتاب ديسقوريدس ولم اتبع في اعداده طريقة الاستقصاء فهو قابل للظن من الوجهة الاحصائية ولكن يبقى مقبولا حتى يقوم من يتصدى لدراسة احصائية دقيقة.

بلاد اليونان :

اثينا : اسبرطة : لم يرد ذكرهما -
البلاد التي يقال لها ماقدونيا ٥
ترافى ، تراقى Thrace ٢

ارقاديا (٢) ، اتيقي (٣) ، جزر قوقلادس (٢) فورنثن (٣١) (١) .

جزر البحر الابيض المتوسط :

قبرص (٥) ، رودس (١) ، اقريطي او قريطي (٥) ، صقلية (٥) ، سردونيا او سردانيا (٣) .

إيطاليا (٣٢) (٤) ، رومية (٣) .

غاليا او غليا (٣٣) (٢) ، مصاليا (٣٤) (٣) ، فرنسوس ؟ (١) ، الورين (١) .

ايبيريا (٣) ، اسبانيا (٢) ، قسطلانا ؟ (١) .

بلاد الفرس ، فارس (٣) .

بلاد الهند (١) .

فانت ترى من هذا الاحصاء مدى اهتمام ديسقوريدس بالبلاد العربية ، سواء كان ذلك بسبب محبته لهذه البلاد او كان بسبب تجواله فيها مدة طويلة . ولنعد الى سيرته مرة اخرى كما كتبت في كنز الموسوعة لنرى مقدار انطباقها على الواقع :

درس الطب في الاسكندرية ثم في اثينا حيث تتلمذ على (٣٥) ثيوفرسطس ثم اتى روما فأصبح طبيباً عسكرياً في الفرقة الأجنبية (٣٦) في عهد نيرون . وطاف بين سنة ٥٤ و ٦٨ في قسم كبير من اوربا واستفاد من رحلاته تعميق معارفه السريرية والنباتية ، واستمد منها عناصر كتاب يعد اول وصف للأدوية وتحضيرها).

يعجب قارئ هذه السيرة الموجزة من امور :

— من انهاء ديسقوريدس دراسة الطب في الاسكندرية واثينا والتحاقه بالجيش الروماني في هذه السن المبكرة .

— من ان طالباً في مثل نجابته وولعه بالبحث عن النبات لم يذكر اثينا ولا شاهد شيئاً من نباتها ، وان فعل لم يذكر عن نباتها شيئاً في كتابه .

— من انه لم يذكر استاذة العظيم الا مرة واحدة ، وذلك في المقالة الثالثة :

٧٠ - ليبانوطس :

وزعم ثاو فرسطس انه ينبت مع الشجرة التي يقال لها اريقى صنف من الليبانوطس له ورق شبيه بورق الخس الذي ليس ببستاني المر وعرق قصير ، الا ان ورقه اشد بياضاً واحسن من ورق الخس وان اصله اذا شرب حرك القيء والاسهال .

— من ان تكون رحلاته في قسم كبير من اوربا قد عمقت معارفه السريرية والنباتية . ولا يحدثنا بذلك في كتابه الا قليلاً ، بل يحلو له الحديث عن المادة الطبية التي استمد اكثر عناصرها من بلاد الشام والجزيرة العربية ومصر وليبوى (ليبيا) ومن دويلات آسيا الصغرى .

— وتعجب من لهجة حديثه عن بلاد الشام تلك اللهجة التي لا تسمعها الا من سوري او عربي لا سيما ان الشام في ذلك الزمن كانت خاضعة للحكم الاجنبي ، وبعض الأمثلة توضح ما اعنيه :



ص ٦٩ - قيطو ادس : وهم قم قريش .

وهذه ثمرة التنوب والأرز وهو في بلاد الشام ...

ص ١١٨ - بسطاقيا : وهو الفستق :

ما كان منه بالشام وكان شبيهاً بالصنوبر فانه جيد للمعدة .

ص ١٢٩ - طلينا :

واهل الشام يسمونه الطلينس ، وهو صنف من الصدف .

ص ١٣٨ - مينانيدش :

وهو صنف من السمك ايضاً وهو صغير ويسميه اهل الشام : الصير .

ص ١٤٣ - جطيلس :

وهو حيوان صغير يسميه اهل الشام الریت . اذا شوي واكل نفع من اوجاع المثانة .

ص ١٩٢ - ملوخي : وهو الخباز البستاني .

وهو الذي يسميه اهل الشام الملوكية .

ص ٢٤٠ - شبيهاً بالخشب الذي يسميه اهل الشام فوكسين وهو الشمشار (٣٧) .

ص ٢٦٦ - سينون :

ومن اهل الشام من يسميه ساسا (٣٨) . هو بزر صغير الحبة يكون بالشام شبيهاً ببزر الكرفس طويلاً اسود يحذي اللسان ويشرب لوجع الطحال وعسر البول واحتباس الطمث . واهل البلاد التي ينبت فيها يستعملونه كاستعمالهم احد التوابل ويسلقون القرع ويصبون عليه الخل ثم يتبلونه بهذا البزر .

فما سر هذا الاهتمام عندّ بما ينبت في بلاد الشام وما يسميه اهل الشام وما يأكله اهل الشام ؟

وما سر هذه النظرة الموحدة التي لا تفرق بين بلاد الشام شماليها وجنوبيها ، شرقيها وغربيها ، وكيف دارت دورة الزمان وما زال الأجاص الشامي المجفف داوئاً للمعدة ، وما فتىء الشمشار يسر الناظرين فيما بقي من ييوت شامية قديمة ؟

لقد اكرت من ايراد الأمثلة ليعيش القارئ العربي في الجو الذي عشته بصحة هذا العالم النبائي العظيم ويكتشف معي بالحدس اموراً غابت عن التفكير المنطقي القياسي (٣٩) .

وختاماً لا بد من ذكر شيء عن البلدة التي كانت مسقط رأس ديستوريدس فقد قلت انه ولد في عين زربي في قيليقيا من بلاد الشام ، وما كنت اظنني بحاجة الى ايضاح ولكنني لما

وجدت بعض المراجع العربية^(٤٠) تنقل عن الكتاب الغربيين من دون نظر ولا تثبت رأيت من الضروري وضع الأمور في نصابها ، وإيضاح الأصل الشامي العربي لهذا المؤلف العظيم .

لما اشرفت الحرب العالمية الأولى على النهاية بادر الحلفاء المنتصرون الى الاتفاق على اقتسام الغنائم فكان شمالي سورية (ما ندعوه اليوم سورية ولبنان) من نصيب فرنسة وكان جنوبها (ما ندعوه اليوم فلسطين وشرق الأردن) من نصيب انكلترة . ولما كانت قيلية الجزء الشمالي من سورية فقد احتلها الفرنسيون بين سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢١ ، ثم تخلوا عنها لتركيا الكمالية لأسباب ندع شرحها للذين يتصدون لكتابة التاريخ العربي من جديد .

وكان حلم الوطنيين الأحرار في ذلك العهد اقامة دولة سورية مستقلة على ارض سورية الطبيعية بكامل ترابها الوطني ، اي ان يكون حدها الشمالي جبال طوروس وهو الحد الطبيعي الذي يفصل بلاد الشام عن آسيا الصغرى ، اي ان قيلية داخلية في نطاق هذه الدولة .

وها انا اقتضب بعض المعلومات المتعلقة بقيلية من بعض المراجع العربية والأجنبية القريبة التناول :

معجم البلدان :

عين زَرْبِي^(٤١) : بفتح الزاي وسكون الراء وباء موحدة والفاء مقصورة .

يجوز ان يكون من زرب الغنم وهو مأواها: وهو بلد بالثغر من نواحي المصيصة ، وقال ابن الفقيه : كان تجديد زربا وعمارتها على يد ابي سليمان التركي الخادم في حدود ١٩٠ ، وكان قد ولي الثغور من قبل الرشيد ثم استولى عليها الروم فخربوها ، فانفق سيف الدولة بن حمدان ثلاثمائة الف درهم حتى اعاد عمارتها ، ثم استولى الروم عليها في ايام سيف الدولة كما ذكرنا في طرسوس وهي في ايديهم الى الآن ، واهلها اليوم ارمين وهي من اعمال بن ليون، وقد نسب اليها قوم من اهل العلم منهم : ابو محمد اسماعيل بن علي الشاعر العين رزبي القائل :

وحقكم لا زرتكم في دُجْنَّة من الليل تخفيني كاني سارق

ولا زدت الا والسيوف هواتف اليَّ واطراف الرماح لواحق

المَصِيصَة : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس وهي الآن بيد ابن ليون وولده بعده منذ اعوام كثيرة ، وكانت من مشهور ثغور الاسلام قد رابط بها الصالحون قديماً وبها بساتين كثيرة يسقيها جيحان وكانت ذات سور وخمسة ابواب وهي مسماة فيما زعم اهل السرباسم الذي عمرها وهو مصيصة بن الروم بن اليمن بن سام بن نوح . (نقل باختصار) .

اللكام^(٤٢) . بالضم وتشديد الكاف ويروى بتخفيفها وهو في شعر المتنبي مخفف فقال:

بارض ما اشتهيت رايت فيها فليس يفوتها الا الكرام

فهلا كان نقص الأكل فيها وكان لاهلها منها التمام

بها الجبلان من صخر وفخر انافا ذا المغيث وذا اللكام

وهو الجبل المشرف على انطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس وتلك الشفور ، وقد ذكرته في لبنان بأتم من هذا لأنه متصل به .

— دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) .

طرسوس : بلدة على الحدود بين آسية الصغرى وسورية ومسقط رأس بولس الرسول وهي على سهل خصيب كل الخصب يخطه نهر سيدنوس Cydnos (الذي سمي من بعد نهر البردان) وطرسوس في ملتقى بعض الطرق الهامة وهي لا تبعد عن البحر ، ومن ثم كان لها حتى في الأزمنة القديمة شأن كبير بوصفها مركزاً للتجارة .

وتميزت في العهد اليوناني المتأخر بحياة زاخرة .

وجاء في هذه المقالة : ثم قام الخليفة المأمون سنة ٢١٥ هـ بحملة على العواصم دانت له فيها طرسوس والمصيصة الى الشرق منها ، ودفن هذا الخليفة نفسه في طرسوس وكان قبره يشاهد فيها في الأيام التالية .

— لادوس الكبير :

كانت قيليقية ميدان قتال بين البيزنطيين والفرس، ثم بين البيزنطيين والعرب، واكتسحها جنكيز خان وتيمورلنك واحتلها ابراهيم باشا قبل ان يهزم الترك في قونيا . وقد كانت هذه الحروب المتوالية سبباً في خراب مدنها القديمة اذنة Adana ، طرسوس Tarse ، عين زربا Anazarba ، Selinonte (٤٣) وكانت هذه المدن مزدهرة تحت حكم ملوك محليين ، نفى اليها اسرائيليون من السامرة وقد اكتشفت في قره تبّه Heratepe نصوص سامية قديمة (٤٤) ترجع الى عهد الملك سرجون .

ارجو ان اكون في هذه المقالة قد القيت بعض الضوء على جانب من حياة هذا الطبيب الشامسي الحشائشي الذي فقد هويته ونسبه اهلوه .

الدكتور مختار هاشم



□ الحواشي :

- ٧ - Sienne مدينة ايطالية بتوسكانيا .
٨ - تجمع المصادر الفرنسية على ان كتاب المادة الطبية لديسقوريدس مؤلف من ستة أسفار بينما يقول ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الادوية والأغذية : « واستوعبت فيه جميع ما في الخمس مقالات من كتاب الأفضل لديسقوريدس بفصحة » وأغرب من ذلك ان الترجمة التي حققها المستعربان الاسبانيان عنوانها بالعربية المقالات السبع من كتاب دياسقوريدوس وهو هيولى الطب في الحشائش والسموم .

ترجمة اسطفن بن بسيل
واصلح حنين بن اسحاق .

- ١ - طبقات الأطباء لابن جلجل .
٢ - طبقات الأطباء لابن أبي اصيبعة .
٣ - يذكره ابن جلجل بلفظ (ارمانوس) .
٤ - انظر (مقدمة كتاب الحشائش والادوية لديسقوريدس بترجمة مهران بن منصور بن مهران) نشرها وقدم لها الدكتور صلاح الدين المنجد .
٥ - انظر كتاب Histoire de la medecine, L. Leclerc تجد ما يقوله المؤلف عن هذه المخطوطة البديعة واين تقع منها مخطوطة مكتبة الفاتيكان وماذكره من ان على حاشية مخطوطة باريس تعليقات كثيرة مسندة الى ابن البيطار .
٦ - Castellana

- ٢٩- تأتي في الكتب العربية معرفة الى نبطس وقد اتعبتني هذه الكلمة فيما مضى عندما كنت احقق كتاب الشامل لابن النفيس حتى تجلت لي قراءتها الصحيحة فاذا بنبطس كانت في زمن ما دولة من دول آسيا الصغرى لها اثر في مجرى التاريخ .
- ٣٠- مدينة في آسيا الصغرى يزعم بعضهم انها كانت موطن هومروس واليها نسبت القلوة المعروفة .
- ٣١- في الطبعة المحققة (قورين) وعسى ان اكون اصبت في هذا التصحيح .
- ٣٢- تلتبس مع انطاليا فيجب التثبت من ان ديسقوريدس يعني انطاليا فعلا .
- ٣٣- غالبا : اسم اطلقه الرومان على البلاد التي تدعى اليوم فرنسة على وجه التقريب .
- ٣٤- تدعى اليوم مرسيليا .
- ٣٥- تتلمذ على ثيوفرسطس il fut l'élève اقول اي ثيو فرسطس هذا ؟ لعل هذا القول استنتاج من انه نقل عن كتاب ثيوفرسطس تلميذ ارسطو العظيم والذي له كتابان في علم النبات : تاريخ النباتات واسباب النبات . فيكون تتلمذ عليه مجازا اي عن طريق كتبه وبذلك لا يجوز ان نقول تتلمذ عليه في اثينا ، فيبينهما فترة طويلة من الزمان تزيد على ثلاثة قرون .
- ٣٦- Medecin militaire des legions .
- ٣٧- لعل النسخا بادلوا بين موضع الكلمة الاولى والثانية وكان الاصل : يسميه اهل انشام انشماش وهو الفوكسين اي Buxus sempervirens L.
- ٣٨- هو المسمى بمصر (نخوة) تهريب فانخواه الفارسية Carum copticum وله تسمية لاتينية مرادفة هي Sison ammi JACQ مرادفة هي
- ٣٩- ما يسميه باسكال الفرنسي : Esprit de geometrie
- ٤٠- المنجد مثلا .
- ٤١- هذا هو اللفظ الصحيح واذا كتبنا على طريقة السريان فقلنا (عين زربا) كما نقول (عين توما) وهي بلدة قرب دمشق يبقى اللفظ كما هو .
- ٤٢- اللكام : جبال امانوس كما يسميها ديسقوريدس .
- ٤٣- ذكر ديسقوريدس مدنا اخرى لم يات ذكرها في هذه المقالة مثل ايارا بولس وخليقيس او خلقيس .
- ٤٤- هذا تأكيد لما اشرت اليه من حضارة سريانية قديمة تتجاوز حدود سورية كثيرا الى الشمال ولكن هوى لادوس مع اسرائيل معروف عند كل المثقفين العرب . وقد ورنث الحضارة العربية الحضارة السريانية كما بين المؤرخ البريطاني ١ تويني في كتابه دراسة في التاريخ .
- ٩ - انظر E. Universalis : Thesaurus Dioscoride .
- ١٠- Dioscoride Pedanius .
- ١١- هو بليينوس الاكبر مؤلف كتاب التاريخ الطبيعي Naturalis historia .
- ١٢- انظر : المقالة الاولى ٨ فو وهو الفو حيث يقول : له ورق شبيه بورق الدواء الذي يقال له بالسريانية رغنا دلا (وفي ابن البطيار : رعبا ذيل) فاذا وجدت في النسخة اليونانية ثبت ان ديسقوريدس سرياني او على صلة وثيقة بالسريان . اما الفو فهو السنبل البري وبلسان العلم Valeriana dioscorides .
- ١٣- E. Universalis .
- ١٤- Arnold Toynbee - Study of history .
- ١٥- في ترجمة مهران بن منصور : وما لم تتفق مشاهدته اخذناه بالاخبار المتواترة عن الشقات ومن البحث والمساءلة لاهل البلاد والرسابق الثائية عنا والدانية منا مع التجربة لها ليكون تعليمنا هذا تاما .
- ١٦- البلاد التي تسمى ، الجبل الذي يقال له : تعبير دياسقوريدس مميز لا يخرج عنه الا قليلا واسبب وجهه .
- ١٧- جبل في شمالي سورية قبل ان تحيفها صروف الزمان المثلة بالاستعمار الاوربي . وقد ورد ذكره مرتين .
- ١٨- جزر يونانية في بحر ايجيه تقع الى الجنوب الشرقي من ارض اليونان الاصلية (اتيني) .
- ١٩- جاء في المعجم الاغريقي الفرنسي لئسانغ : Asphaltos : bitume .
- ٢٠- اي مدينة صيدا في لبنان .
- ٢١- Mèlon (to) : pomme. Coccus : grain, pépin .
- سمى الاغريق الاجاص قوقوميا اي التفاحة ذات النواة لانها نووية Drupe
- ٢٢- هكذا وصحة العبارة تقتضي حذف الذي .
- ٢٣- تقع اليوم في المملكة الاردنية .
- ٢٤- حيوان بحري من الرخويات راسية الارجل يدعى بالعربية الحبار او السبيدج ويمكن اكله وهو يغرز عند الشعور بالخطر حبرا اسود يعمي به على اعدائه ويلوذ بالفرار .
- ٢٥- يظهر انها كانت تجلب من بحر القلزم القريب من بيت المقدس والمذكور في الصفحة ١٣٠ واونوخس ٠٠ وقد يؤتى بشيء منه جيد على ساحل القلزم . اونوخس باليونانية Onuchos .
- ٢٦- يعني بها ناحية عسقلان في فلسطين .
- ٢٧- تدعى اليوم (ابو صير) .
- ٢٨- نسبة الى معبد آمون .